مستقبل العمل المجمعي العربي

الأستاذ الدكتور يحيى جبر

أيها الحفل الكريم

يشرفني أن أقف أمامكم ممثلا لمجمع بيت المقدس، مجمع فلسطين، سورية الجنوبية، الجرح النازف. وإنّا لنأمل هناك أن ننجح في نصرة العربية في الصراع الذي فرض عليها أن تخوضه في عقر دارها، ليس مع اللغات الأوروبية وحسب، ولكن مع العبرية أيضاً، مما يجعل العبء ثقيلاً ثقيلاً، غير أنّا يحدونا الأمل في النهوض به، راجين أن نسهم معكم في رفع شأن العربية وأهلها، مستنيرين بجهودكم، وجهود الراحلين من المجمعيين الفلسطينيين: الكرمي وزعيتر وطوقان ودروزة والنشاشيبي والحسيني وغيرهم، الذين قدم بعضهم إلى الشام ممثلا لبلده في المؤتمر السوري العربي الذي انعقد بدمشق سنة عشرين من هذا القرن.

أيها الأخوة:

ان أمتنا تعيش ظروفاً غير عادية، ولابد للتعامل معها من مناهج وأساليب غير عادية... وهذه ضرورة يقتضيها المنطق... ولا أدري لماذا يصر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعضنا على وضع الجديد في وجه القديم على أنه ند له وبديل منه، بينما يصح أن يكون الجديد وليداً للقديم، يتخلّق في رحمه، فيأتي ابناً له، وامتداداً. ودون أن يكون ثمّ عداء، بل تناغم وصفاء.

ان الواقع الذي تحياه الأمةُ، والعالمُ من حولها، وقد غدا صغيراً، لواقع جديد يتطور ويتغير على شكل متوالية هندسية تفوق التصور، وان علينا أن نرتقي إلى مستوى المتغيرات، وأن نقيسها بما تقتضيه من أقيسة ومعايير.... دون المساس بثوابت الأمة بحال.

فهل نبادر إلى إرساء المشروع الحضاري العربي...

توطئة :

يقتضي الحديث عن العمل المجمعي العربي أن يعرج المتحدث مضطراً على العمل العربي بعامة، ذلك لأن هذا جزء من ذلك، يتأثر به، ويؤثر فيه، ونأمل أن تجيب هذه الورقة عن كثير من المسائل المتعلقة به، ولو بشكل غير مباشر، لأن العمل المجمعي المشترك يصب في معينه، ويسهم في إغنائه، غير أن مايشهده الواقع من تعثر العمل العربي المشترك انعكس على نتائج العمل المجمعي فحال دون تحقيق التنسيق الكامل، ودون شيوع الاصطلاحات وتوحيدها على الرغم مما يؤلف بين أعضاء المجامع من روابط وعلاقات متينة وصداقات أكيدة. يسمح لهم أن يلتقوا ويقترحوا، دون أن تكون لهم فرصة المتابعة والتنفيذ في الوقت الذي نجد فيه الجهات الموازية في بعض الدول الأوروبية (إيطالية وفرنسة على سبيل المثال) تملك الحق في رصد المخالفات وتصحيح الأخطاء ومنع المخالف من الاستمرار في مخالفته بكل وسيلة ممكنة.

وفي هذه الورقة نرجو أن نقدم تصورا لما ينبغي أن يكون عليه مستقبل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العمل المجمعي العربي، والتحديات التي تعترض سبيل الأمة إلى التقدم والترقي، هذه التحديات التي تترك بصماتها على كل منتجات الحضارة المادية المعاصرة شاهداً يؤذّن صبحاً ومساء أن على العرب أن يعيدوا النظر في كل ماهم عليه ابتداء من مفهومهم للدين والتديّن إلى ضرورة التعامل مع التقنيات المستحدثة في تطورها المتلاحق على شكل متوالية عددية بما تقتضيه من تفتّح لايفرط بالأصول، والأخذ بأسباب النهضة الشاملة في كل مجال، على طريق تحقيق ثورة عارمة تشمل كل عناصر الحياة وتحديداً في مجالي البنيان الاجتماعي والحصالة الثقافية.

مغالطة منطقية:

لكل كلمة معنى تختص به، ويكتسب اللفظ مكانته الاجتماعية من معناه، وهو الذي يحببه إلى الناس أو يسخطهم عليه. فللمفردتين جامعة «الدول العربية» واتحاد «المجامع» مكانة أكيدة في العرف الاجتماعي لأن في «الاتحاد» قوة... ولأن التجمع غالبا مايكون لرحمة، هو قريب من الاتحاد، ونحن نحرص على بقاء الجامعة العربية واتحاد المجامع العربية، وعلى أن تنهض هاتان المؤسستان بالأعباء الملقاة على كاهلهما لتلبي المطامح العربية وتطلعات الشعوب العربية في أرجاء الوطن العربي كافة .

ونضيف هنا، بكل مرارة وأسف أن «العربية» التي تضاف إليها المجامع هي عربية واحدة ألفاظاً ومعاني وتراثاً، ولكنها لم تعد واحدة متكلما واتصالا بالتراث ومنطلقات، فالعربية في المناطق المحتلة عامي ٤٨ و ٦٧، وتحديداً على ألسنة الطبقة العاملة والتجار، وفي أرجاء الوطن الكبير على ألسنة أهل بعض أشكال الفن والتجارة ـ تختلف وظيفتها عن الوظيفة المعروفة للغة، إذ يدخل فيها توجيه التفكير والإسهام في بلورة الرأي العام بما ينسجم مع المصلحة العليا للأمة... وكثير من العرب مازالوا على اتصال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وثيق بتراث أمتهم، ويستمدون منه مايحوكون به مستقبلهم، غير أن كثيراً منهم أيضاً قطعوا الصلة بالتراث، أو وجدوا أنفسهم يرضعون لبنا مزورا مجهول المصدر أو معلومه، مما انعكس على الواقع اللغوي بوجه عام، وأخذ يتغلغل في بنية الذات بما فيها اللغة بإجمال. إن الأمة العربية اليوم تخضع لعملية تهجين رهيبة، بعد أن دجنت تدجيناً، فما هذه بأمة محمد، وماهذه بأمة خالد ولا ابن نصير ولا صلاح ولا الظاهر، انها تتعرض لزرع جينات وراثية ليست مما ورثه الآباء. لو كان يصحو المبنج.

أعمال المجامع :

يقف المطالع في منشورات المجامع اللغوية على طبيعة النشاطات التي تنهض بها، وهي مختلفة متنوعة إلى حد كبير، ولعلها كانت أمثل مايمكن أن تؤديه المجامع في العقود السابقة، غير أن في الانفجار المعرفي وثورة التقنية اللذين باتا يكتنفان العالم من حولنا ويمتدان إلينا بآثارهما مايحدونا إلى إعادة النظر في طبيعة العمل المجمعي، وضرورة نقله إلى آفاق أرحب، والامتداد به إلى أبعاد جديدة «نووية إن صح التعبير».

ويمكن إجمال نشاطات المجامع في العقود السابقة في إقامة الندوات والمؤتمرات ونشر أعمالها، وإعداد الدراسات والأبحاث، وتوليد الاصطلاحات وترجمة بعض مصادر المعلومات، إضافة إلى تحقيق بعض المخطوطات وفهرستها وتأليف بعض الكتب المدرسية المقررة. وتراوح الأبحاث مابين السير الذاتية والدراسات العميقة مما يجده الدارس منشورا في مجلات المجامع المختلفة.

ونعتقد أنه لتحصين أهل اللغة من عوامل الحضارة المادية وانعكاساتها على الإنسان واللغة، لاسيما في ضوء ضعف أثر التراث فيهما ـ لابد من العمل على إعادة تعريب المواطن ووصله بتراثه، وهذه عملية شاقة لابد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لنجاحها من تضافر جهود كثيرة، ونرى أنها يجب أن تقوم على عاملين رئيسين هما:

١ ـ التعامل مع مقتضيات ثورة المعرفة والتقنية، والعمل على تطويعها، لتنسجم مع مقتضيات تحقيق الهوية ومواصفات الذات، اقتداء بما كان عليه السلف عندما ترجموا عن الإغريق والرومان والفرس والهنود، وبما انتهجه اليابانيون وسكان شرق آسيا في تعاملهم مع افرازات الحضارة الغربية. بعبارة أخرى: على الأمة أن تبادر إلى توطين العلم وتوليد المعرفة محليا.

٢ ـ فتق العربية عن طاقاتها الكامنة، ومانرى العربية بل اللغة بوجه عام الا كالذرة، لم يكن أحد يدري بمكنونها من الطاقة حتى كان علم الذرة الحديث، ففجرت الذرة عن طاقتها الهائلة بغض النظر عما استخدمت فيه من أغراض... والشيء نفسه نقوله في اللغة، إذ هي إطار ينطوي على علوم جمة، وطاقات ضخمة فأين الصاعق؟

ميادين جديدة للعمل المجمعي :

نسوق في مايأتي جملة من الاقتراحات من شأنها أن تؤدي إلى الانتقال بالعمل المجمعي إلى ميادين جديدة وتمده بطاقات خلاقة، وهي:

١ ـ تفريغ معاجم الألفاظ في معاجم متخصصة على غرار فقه اللغة وسر العربية للثعالبي والمخصص لابن سيده، وكتب خلق الانسان للأصمعي وابن أبي ثابت والربعي وغيرهم، وكتب الأضداد للأصمعي وأبي الطيب وابن الدهان ومن بينهم، ونحو ذلك من الكتب.

ان الأهداف التي كانت من أجلها معاجم الألفاظ غدت وراء مطلب العصر، وتجاوزها الباحثون أو ينبغي أن يتجاوزوها، ولابد من إعادة توظيف المعلومات التي تتضمنها بما ينسجم مع سمة التخصص ـ هذه الآلة التي باتت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تسهم بطابعها جل مناشط العصر.

٢ ـ تطوير منهج ابن فارس والصاغاني، وتفجير فلسفة الأصل والتركيب على طريق توليد أبعاد لغوية جديدة، واستخراج «برمجات» دماغية قادرة على التعامل مع مستجدات العصر.

ان تحليل اللفظ إلى الأصوات التي يتألف منها أمر ميسور، ولكن علينا أن نجتهد في تحليل المعنى المفرد، مم يتكون، عندئذ نبدأ في جدلية تقوم على استخراج الطاقة بتجزئة الخلية ـ الذرة ـ المعنى المفرد، ولابد نتيجة لذلك من الطاقة (س) وماعلينا إلا أن نحسن استخدامها بتحويلها إلى ضوء أو صوت أو حركة أو جاذبية... أو غير ذلك، أعني بتحويلها إلى قدرات لغوية تسعفنا في مجابهة العصر. فاللغة هي مادة العلوم، واتقان اللغة والدراية بفلسفتها يعنيان اتقان العلوم ولو إلى حد، والقدرة على التعامل معها.

٣ ـ تلمس الفصيح في اللهجات الدارجة، وماأكثره، ومنه فصيح لم يرد في المعاجم ولا في شواهد اللغة، ذلك أن هذه لم تشتمل على كل ماكان لدى العرب من ألفاظ ومعان، لو كانت هذه الأخيرة مما يحصى، ونعتقد أن في الأدب الشعبي العربي، وتحديداً ماكان منه في البوادي على امتدادها شرقاً وغرباً، ذخيرة من الألفاظ يمكن أن تسعفنا في توفير بعض مانحتاج إليه في العصر الحديث، وقد ننبه هنا إلى أن الأعراب أصدق حسا وأقدر على التعامل مع ألفاظ الحضارة الوافدة، إذ لايلبثون حتى يعربوها لعلاقة في شكل ماتطلق عليه أو لونه أو غير ذلك.

٤ ـ توطين العلم وتوليد المعرفة والتقنيات على طريق تحصين المجتمع وسد حاجاته، وهذا يستدعي إعادة النظر في الخطة الشاملة لتطوير الوطن العربي في كل مجال، وتحديد مفهوم العروبة، ففي نظرنا أن العرب كانوا أمة عندما كان الإسلام منطلقهم وصائغ وجودهم، ومن هنا فإن العروبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والإسلام جسد واحد، والحرص على هذه يجب أن يكون حرصا على ذاك.

ولابد من العمل على بلورة الذات في ضوء مقتضى هذين العاملين، أعني الدين والقومية، حتى إذا ماتبلورت ذات متميزة أمكن للحمية الوطنية بمفهومها الشامل أن تستيقظ وتستشري محدثة شعورا بالغيرة والحرص والأخذ بأسباب الوقاية والتحصين الحضاري والتحسس ضد الأفعال المعادية ومقاومتها بردود الفعل المناسبة، بل تتجاوز ذلك إلى ممارسة الفعل، ويبدأ المجتمع بذلك مسيرة جديدة فاعلة، ودورة حياة تستعر فتوة وتحفزا كنامية اللوز بعد خروجها من سجن القشرة.

عندئذ، يكون في وسع المجتمع العربي أن يتعامل مع معطيات الحضارة الحديثة وهو آمن مطمئن، فلن يطغى لونها على لونه، بل أن في لونه من التركز مايكفي لإضفائه عليها، فنغدو تماما كاليابانيين، أو أشد، في محافظتهم على إبراز الذات اليابانية في كل جديد وافد، فلا يلبث حتى يبدو يابانيا أصيلا. إن توطيد العلم وتوليد المعرفة لايتحققان دون وطنٍ حي محدّد المفهوم والأهداف والمنطلقات، يحترم نفسه، ويحافظ على جوهره وهويته معتدا بهما، عاملا على صيانتهما ليظلا صقيلين فاعلين. فمن هو العربي؟ أهو من يجيد العربية؟ أم هو المنتمي إلى أحد الأقطار المنتسبة لجامعة الدول العربية؟ سؤال ينبغي أن لايترك المجمعيون الإجابة عنه، وينبغي أن نسعى لبلورة مفهوم جديد أو تأصيل المفهوم الذي كان سائدا في أوائل هذا القرن الميلادي حول الشرق والشرقيين، والجامعة الإسلامية، وهو أن العروبة والإسلام جسد وروح، والعربية قوام العروبة، وهذا ماسلك الحديث في مجراه الذي رأيتم. ويقودنا ماتقدم إلى طرح التساؤل التالي:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ هل تستطيع المجامع اللغوية أن تتجاوز موقعها إلى موقع متقدم، تستطيع منه التعامل مع مستحدثات العصر ومقتضياته بما يمكّن المجتمع من تجاوز ماهو فيه؟ فتقوده بذلك بدلا من الكتاب والأدباء إلى مواقع متقدمة على طريق التحضر والترقي؟

ولتحقيق ذلك فانه لابد من القيام بخطوتين على الأقل هما:

أولا: الاعلان عن توحيد المجامع تحت اسم «المجمع العربي الموحّد للغة العربية» وتسمية ماهو قائم منها فروعا تحمل أسماء العواصم.

ثانياً: تحديد قيمة عليا يسعى المجمع العربي لتحقيقها، وخطة بعيدة المدى تستند إلى فلسفة تنبع عن الذات، وتؤسس على قاعدة صريحة من احساس بالخطر الداهم، وبضرورة الأخذ بأسباب العلم، والتعامل مع المتغيرات المتوالية على كل صعيد بما تقتضيه دون مساس بالهوية.

وأخيراً أرجو بهذه المناسبة، أن يوفق مجمع دمشق، ونحن نحتفل به في عيده الخامس والسبعين، وممثلو المجامع اللغوية العربية إلى جعل هذا اليوم يوما مشهودا في تاريخ العمل المجمعي العربي، تعلن فيه وحدتها في مجمع واحد. يسعى إلى قمم أعلى، وقيم عليا، ليخطو باللغة والمجتمع العربي نحو آفاق أرحب، وأبعاد جديدة تحقق للأمة مكانتها اللائقة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net